ترجمة الفصل الرابع من كتاب: البتولية والعزوبية اليوم

المقدمة

في مسيرةِ حياته التكرّسيّة، يعاني المكرّس أحيانًا من حالة انقسام داخليّ، فيكون وكأنّه مشدود، وفي نفس الوقت، نحو اتجاهين مختلفين، الأوّل نحو مركز الألوهة الكائن في داخله حيث يتعرّفُ المؤمن على إرادة الله وطريقه ومحبّته، والثاني نحو مركز الإنسانيّة في عمق كيانه.

البُعد الإنسانيّ عند الشخص البشريّ – المنفصل، إلى حدّ ما، عن البعد الإلهي داخله – له احتياجاته الخاصة، كالحب والسلوى والاهتمامات الدنيويّة. في هذا الواقع الصعب مهمّة الشخص الأساسيّة هي إعادة الجمع، في عمق كيانه، بين هذين البُعدَين أي الإنسانيّ والإلهيّ. إحدى أهمّ العقبات وأخطر التجارب التي تواجهه في هذه المهمّة الشاقّة – والمريرة أحيانًا كثيرة – هي الهروب من المواجهة ومن البحث عن الحلّ في سبيل الخروج الانقسام الداخلي. لذلك يتوجّب عليه التيقّظ والحذر وتجنّب خطرين متناقضين: أن يُبتَلَعَ في معاناة هذا الانقسام، أو أن تلهيه أمورٌ كثيرة عن معاناته هذه وتبقيه بعيدًا عن واقعه، فيصبح شفاءه غير ممكن.[١]

لقد وعى الآباء لهذه الأزمات الناجمة عن قرار العيش في الخلوة والتي صوّروها غالبا كحربٍ ضد التجارب التي تحاول ارجاع ذلك الانسان الى العالم[٢] فكتبوا خبراتهم وحدّدوا فيها ما استعملوه من أسلحة روحية لمواجهة هذه المحاولات فجاءت كتاباتهم كأنّها مخطوطة بأيدي أطباء نفسانيين مقتدرين، بينما هي في الحقيقة كتابات روحية خطّها أناس اكتشفوا ذواتهم وعرفوا ما يجول في دواخلهم فغاصوا في مكنوناتهم

---

[١] أنظر هنري نوين (الأب)، صوت الحب الداخلي (رحلة الحزن والحرية)، اعداد وترجمة مشير سمير، مصر، طبعة أولى – يونيو ٢٠٠٩، ص١٩-٢٠.

[٢] ربما احد اجمل القراءات وأكثرها وضوحا في هذا الخصوص، هو ما كتبه يوسف خزايا (يوسف الرائي) الراهب المتوحد الذي عاش في القرن الثامن، إذ يقارن، في المحطة الأولى من المراحل الروحية، بين خروج شعب اسرائيل من مصر وكيف يواجه تجربة الاشتياق للعودة الى راحة وأمان العبودية في مصر، حيث الاكل والشرب والسقف الذي يكسو البيت (سفر الخروج ١٤: ١١-١٢؛ ١٦: ٣؛ ١٧: ٣)، وبين قرار الراهب الخروج من العالم واشتياقه الى حياته الماضية والى العالم وما يقدمانه من امان وراحة للإنسان، فكانت النتيجة ان من بينهم من اختار العودة الى امان العبودية ورفض مغامرة الحرية والوصول الى ارض الميعاد والتي هي بحسب يوسف الرائي الخروج من المرحلة الجسدية والوصول الى المرحلة النفسية التي هي الثانية حسب الترتيب وتليها الثالثة وهي الروحية. وبالتأكيد فإن لكل مرحلة من المراحل تحدّياتها الخاصة والتي من خلالها يحاول الشرّ استمالة المكرّس عن طريقه ليحيد عن هدفه ويعود الى العالم. وكيف ان من يصبر فقط ويواصل الجهاد الروحي هو من يصل الى النعيم الموعود.

وعرفوا منابع تلك الاحاسيس والمشاعر وشخّصوا مواطن الضعف والقوة، وقاموا بتقوية الضعيف منها، فكانت حياتهم، ولا تزال لحد الآن، شهادات للكنيسة ولبنيها لما فيها من صدق وحقيقة، إذ لم يخجلوا من ان يسجلوا سقطاتهم وأخطاءهم أيضا، بالإضافة الى انتصاراتهم الروحية، فإحدى الشرائع الروحية هي أنّ الانسان يجد "الله وسط التجارب والشدّة والصراعات وليس في السهولة والرخاوة. إلا ان كثافة التجارب تتفاقم بمقدار ما نزداد قرباً الى الله"[٣].

وهنا اقدّم للقرّاء فصلاً[٤] في البتولية منقولا من كتاب "البتولية والعزوبية اليوم" لـ (أميديو تشنتشيني)، وهو كاهن إيطالي ومعالج نفساني معروف بكتاباته العديدة في تخصّص علم نفس الدين، يُعيد تقديم ما قدّمه الآباء سابقا بكلامهم الروحي، ولكن بكلماتٍ معاصرة اكثر، وبمصطلحات علم النفس. وهي محاولة في تنشئة افضل للكهنة والمكرّسين الذين نذروا نذر البتولية في سبيل الملكوت السماوي على مثال المسيح، وهو يلمس في هذا الفصل بالتحديد بعض الموضوعات والأزمات التي تواجه حياة المكرّس، كما سيرى القرّاء، والتي هي عادة من الموضوعات الممنوعة أو التي لا يسمح بالبتّ فيها في غالبية المجتمعات، حتى الغربية منها.

من ناحية التعريف فإنّ "الأزمة" بالنسبة للكاتب، ليست تلك الحالة السلبية الخطيرة التي تَحلّ بالمكرّس لتقضي على دعوته وتكريسه[٥]، انّما هي تعبيرٌ عن قلبٍ واعٍ وحذر، قلبٌ يَتفَهَّم في كل يوم حيّزا حرجاً في حياته الخاصة ويحاول ان يتجاوب معه بصورة ذكية ومن منطلق الشخص المؤمن. فالأزمة بالنسبة للكاتب ليست شيئا نخجل منه، ولا يجب ان يُقابل هذا الذي يعيش هذه الأزمة بالرفض او النفور، بل بالعكس، لا بدّ ان يُلاقى بالقبول سواءاً من قِبَلِ المؤسسة أو من قِبَلِ المُرشد، وأن تكون هناك محاولات لحلّ تلك الأزمة بصورة صحيحة ومتماسكة. لهذا فإنه لا بد من اتّباع الوسائل الصحيحة لحلّ الأزمة والخروج منها، فلا يجب لهذا الشخص ان يصل الى حدّ ان يخجل من نفسه، او أن يشعر بكونه مهمّشا، فيبدأ بالتالي البحث عن حلول في مكان غير ذلك الذي من المفترض ان يتواجد فيه للخروج من أزمته.

---

[٣] أنظر اسحق القطري (النينوي)، اعداد الأب البير ابونا، أربيل، عنكاوا، ٢٠١٩، ص٥١.

[٤] الفصل الرابع تحديدا، الصفحات (٦٣ – ٧٧). وقد وضعت العنوان ذاته الذي يحمله الفصل. أمّا عنوان الكتاب كاملاً فهو:
AMEDEO CENCINI, Verginità e Celibato Oggi: *per una sessualità pasquale*, EDB, Bologna, Italia, 2012
أميديو تشنتشيني، البتولية والعزوبية اليوم: *من أجل جنسانية فصحية*، مطبوعات EDB، بولونيا، إيطاليا، ٢٠١٢.

[٥] في نفس هي نتيجة من الممكن ان يصل اليها المكرّس اذا لم يتم معالجة الأزمة بالصورة او بالأسلوب المناسب لها حسب طبيعتها.

وبالتالي يرى الكاتب، وعلى العكس مما نظنّ غالبا، أن الأزمة هي مركّب طبيعي لمسيرة التنشئة الدائمة، فبدون الأزمة لا توجد تنشئة دائمة. وبالحقيقة فإن هذا الفكر ليس بعيدا ابداً عن فكر الآباء الروحيين الذين يرون في هذه الأزمات، وبحسب خبراتهم الشخصية، الدليل على ان المكرّس سائرٌ على الطريق الصحيح. لذلك فإن الآباء قد حدّدوا في كل مرحلة روحية طبيعة الأزمات التي من الممكن ان يواجهها المكرّس، هذا من جهة، وحدّدوا كذلك طبيعة الإجراءات التي من الواجب اتّخاذها لمواجهة هذه الأزمات والخروج منها بفكر متجدد وناضج وجاهز للإنتقال الى مراحل جديدة ومواجهة أزمات جديدة، من جهة أخرى. **فمكرّس بدون أزمة هو مكرّس في أزمة!.**

ولكن حلّ الأزمة مرتبط بالتعامل معها بتواضع فالاعتراف بها وقبولها، والصدق والصراحة مع الذات في البحث عن الأسباب الكامنة وراءها هي أولى الخطوات لحلّها، وينصح الكاتب بأنه لا يتوجب على المكرّس التعامل معها لوحده وانه من الأفضل، او الواجب، ان يستشير المكرّس مرشدا له باعٌ في الحياة الروحية وفي نضوجه الروحي. لذلك فإن الصراحة مع المرشد هي المرحلة التالية التي تتطلب ان يكون المكرّس متواضعاً فيها، بعد ان اظهر التواضع أولا واعترف بوجود الأزمة. وتنبع أهمية هذا الاعتراف والقبول، أن المكرّس يعتزم ان يواجه تلك الأزمة وان يكمل عيش تكريسه بصورة صحيحة دون ان يصبح أسيرا في أزمة معينة، وهذا ما يحصل في بعض الأحيان، فيظنّ انه قد وصل الى هدفه وان ما يعمله هو القمّة في العطاء فلا مشاكل ولا تحديات. **انه شخص يقبل بأمان العبودية وراحتها ويرفض مغامرة عيش الحرية مع الله والتجدّد الذي يناله، ذلك الذي يجازف باستكمال مسيرته الروحية.**

وهنا تحضرني قصة من التراث الروحي الهندي، إذ "القى (راما كريشنا)[٦] على تلامذته في احدى المناسبات الموعظة التالية:

اقتدى ناسك ذات يوم بنصيحة مرشده الروحي (Gouru) فبنى كوخاً صغيرا في غابة بعيدة عن الأماكن السكنية وبدأ يمارس فيه الرياضة الروحية. وكان في صباح كل يوم، بعد ان يفرغ من صلواته وتأملاته،

[٦] راما كريشنا (أيار ١٨٣٦ – آب ١٨٨٦) هو أحد كبار فلاسفة الهند ومفكريها في القرن التاسع عشر، ان لم يكن أكبرهم واعظمهم شأنا على الإطلاق. تأثر كثيرا بأسلوب وتعاليم السيد المسيح والذي كان راما كريشنا يعدّه (المعلم الأول) و (اليوغي الأول).

يخلع سرواله الوحيد الذي يرتديه وينشره على سطح كوخه ثم ينطلق الى اقرب قرية ليستجدي قوته اليومي. وذات يوم وجد بعد عودته من القرية ان الفئران قضمت سرواله. فعاد اليها في صبيحة اليوم التالي كي يستجدي سروالا بديلاً. وحصل على السروال البديل. ولكنه بعد وقت قصير وجد ان الفئران قضمت أيضا سرواله الثاني. فإنزعج كثيرا للأمر واخذ يتساءل بينه وبين نفسه : "اين اذهب للحصول من جديد على سروال آخر وممن أطلبه؟". وعندما التقى بالفلاحين شرح لهم حالته وما فعلت الفئران بسرواله الثاني. فقال له احدهم: "من يستطيع ان يهديك سروالا جديدا كل يوم؟ أليس من الأفضل ان تضع هرّاً يبعد عنك خطر الفئران؟". فعمل الناسك بهذه النصيحة واصطحب معه من القرية هرّاً. ومنذ ذلك اليوم ابتعدت الفئران عن كوخه مما أدخل على قلبه سروراً بالغا.

وأولع الناسك بهرّه ولعا كبيراً، فصار يداعبه ويستحصل له كل يوم على قوته من الحليب الذي كان اهل القرية يتصدقون به عليه. وأخيرا ضاق الفلاحون به ذرعاً فقال له أحدهم: "أيها الرجل القديس، انك في كل يوم تستجدي منا الحليب لإطعام هرّك. وهذا امر مزعج لك ولنا. قد يتصدق عليك الناس بالحليب لأسبوع او لشهر ولكن لن يستطيعوا ان يتصدقوا عليك بالحليب طيلة أيام السنة! أليس من الأفضل لك ان تضع في كوخك بقرة تؤمن من حليبها قوتك وقوت هرّك؟!".

وعمل الناسك بنصيحة الفلاح فاستحصل على بقرة وربطها امام كوخه ولم يعد بحاجة الى استجداء الحليب من اهل القرية. ولكنه بعد بضعة أيام وجد نفسه مضطرا للحصول على علف للبقرة. فتوجه الى القرية كي يستجدي لها على العلف. فقال له الفلاحون: "يوجد حول كوخك اراضٍ واسعة غير مستصلحة، فلماذا لا تبدأ بحرثها وزرعها وبذلك تؤمن العلف لبقرتك؟". وعمل الناسك بنصيحتهم هذه المرة أيضا، فبدأ بحرث الأرض من حول كوخه ويستأجر العمال لزرعها وحصاد أغلالها واخذ يعيش حياة الفلاح المنهمك بأمور أرضه حتى أصبح من اكثر اهل القرية غنىً وثراءً.

وبعد ردح من الزمن خطر للمرشد (Gouru) ان يتفقد أحوال هذا الناسك فتوجه نحو المكان الذي يقيم فيه. ولكنه بدلاً من ان يجد الكوخ الحقير الذي كان يتوقعه وجد بيتا كبيرا وسط مزرعة مليئة بالأشجار والأغلال. فسأل احد الفلاحين: "هل لك أن تخبرني اين اصبح الناسك الذي كان يعيش هنا في كوخ صغير؟".

ولكن الفلاح لم يتمكن من إجابته لأنه عندما قدم الى المزرعة للعمل فيها كان الناسك قد اصبح من أهل الثراء والجاه. فتوجّه المرشد نحو البيت القائم في وسط المزرعة وما ان دخله حتى وجد الناسك في داخله. فبادره قائلا: "يا بني ما هذا كله؟!". فامتلأ وجه الناسك بخجلٍ شديد وارتمى على قدمي معلمه قائلاً: "كل هذا يا سيدي من أجل الحفاظ على السروال!" ... .

فالمكرّس يصبح أحياناً ضحية "الحفاظ على السروال"، أي انه يدخل في الأزمة ويبقى أسير متطلباتها وينسى أنّ امامه طريق يتوجب عليه استكماله، وتتحول تلك الأزمة من محطة يتوجب على المكرّس المرور بها للذهاب الى محطة أخرى، الى هدف بحدّ ذاته. وعلى الرغم من أنّ القصة آنفاً تتحدث عن مغريات المال أيضا إلا إنّها تشرح وبصورة جليّة أيضا طريقة تعاملنا مع الأزمات والدور الأساسي جدا الذي يمكن أن يضطلع به المرشد لإعادة المكرّس الى الطريق القويم ليستكمل مسيرته التي كرّس حياته لأجلها.

وعن طبيعة الأزمة، يؤمن الكاتب تشنتشيني، وإنطلاقا من وجهة نظر علم النفس، أن هذه الأزمات ليست في طبيعتها عاطفية دوما، أو على الأقل هي لا تبدأ بالعاطفة، ولكن الأزمة تصبح عاطفية في النهاية، عندما لا يتم ايجاد حلّ لها بالصورة الصحيحة. فالأساس لهذه الأزمات ليس دائما عاطفيا.

فما هو اذن أساس الأزمة في الغالب؟ ان الأزمة العاطفية تنشأ غالبا في محيط الهوية (أزمة هوية)! إذ يجد الشخص صعوبة في الإستجابة وبصورة ثابتة لحاجته وعوزه الى الفهم والتقدير الإيجابي للذات. فالشخص الذي لا يكون بمقدوره ان يجد في ذاته هذا الفهم او القبول الإيجابي لذاته، أي انه لا يستقبل هذه الإيجابية للذات في داخله، فإنه يغدو شخصا حساسا جدا بالنسبة لما يستقبله او يأتيه من خارج ذاته، أي من الآخرين، أي انه يبحث عن تلك الإيجابية في الخارج. انها أزمة تقدير الذات.

والرسالة الإيجابية، القادمة من الخارج، والتي تكون الأكثر تأثيرا وقوة لتقدير الشخص بشكلٍ كبير جدا، هي في قول: "أنا احبك". انها الرسالة إذ يحسّ فيها المكرّس انه في مركز حياة شخصٍ آخر وهو يُعدّ مهمّاً بالنسبة لشخص آخر. فهي ليست رغبة جنسية او مشكلة عزوبية، على الرغم من انها من الممكن ان تصبح كذلك فيما بعد. فالمكرّس الذي لم يعثر على التقدير اللازم في داخله فإنه سيبدأ بالبحث عنه في الخارج.

بهذا الخصوص يقول الكاتب:

> ان خيار الشخص ان يصبح بتولا لأجل الرب، ومن اجل محبة العديدين باسم الرب – على سبيل المثال – يتطلب من الشخص ان يعيش الوحدة، وان يثمّنها كمكان للالفة وعمق العلاقة بينه وبين الله، ومحل فهم وتعلم لما يمكن ان يكون الحكم العاطفي الذاتي، والذي يسمح له فيما بعد ان يعطي الحب بصورة مجانية دون ان يستجدي العاطفة من كل علاقة يخوضها. هكذا فان الحساسية الإيجابية تجاه الوحدة تعاونه، شيئا فشيئا، ليكوّن حساسية خاصة بالبتول لأجل المسيح.
>
> ولكن، وفي كل مرة تقدّم له الحياة الاحتمالية او الفرصة لكي يظلّ وحده، ووحده مع الله، فإن ذلك العازب يختار ان يملأ هذا الحيّز – الناجم من حياة الوحدة – بحضور آخر مختلف او علاقات أخرى (حقيقية او خيالية افتراضية)، او يملأها بالاتصالات المتعددة، او بالرسائل او الرسائل النصية القصيرة، او بتنافرات او تجاذبات متنوعة التي تملأ، وبصورة اكبر دائما، العقل والقلب، الفضول والتهيؤات والتي تسيطر وتغري دائما العيون والخيال، ...، فمن الواضح اذن ان الحب للوحدة – في هذه الحالة – لن ينمو ابدا، ولن تنمو أي حساسية بهذا الاتجاه، ويكون هذا الشخص يخاطر بان لا يجازف ابدا بالثمار الطيبة التي تتأتى من "البقاء وحيدا مع الله"، وبدلا عنه يبدأ باطلاق الحكم المسبق، طوال فترة (خدمته او تكريسه)، على مشروع بتوليته الشخصي.

ويقول أيضا:

> هي حالة كلاسيكية لذلك العازب الذي يعوّض غياب او فقدان العلاقة، بجمعه للأشياء او بزيادة اتصالاته، او يرضي بعض الفضول، او يرمي بنفسه بدون أي سيطرة على ذاته في الأنشطة أو – وهذا هو الأسوأ – يرمي بنفسه في الأكل او الشراب؛ او يصبح قاسيا ومنقطعا وعنيفا ليقول لنفسه انه ليس بحاجة الى أي احد بجانبه، او انه ينمو بهيئات مختلفة (من ممارسة العادة السرية الى الاهتمام المتزايد بجسده) وهذا اهتمام متركّز تماما على ذاته، أي (النرجسية الخاصة بالكاهن).

غدت الضوضاء وكأنّها الحالة الطبيعية للإنسان المعاصر، والهدوء والسكون الحالة الشاذة. لذلك أصبحت الوحدة تحدّياً كبيراً للمؤمن بصورة عامة وللمكرّسين بصورةٍ خاصة. ردّة الفعل على عيش الوحدة والسكينة هي، في أغلب الأحيان، إمّا الهرب من هذه الحالة إمّا الغرق فيها. في محاولة الهرب لن تتبدّد ولن تُمحى، لكنّها تبتعد عن الذهن، إنّما لفترة مؤقتة فقط. أمّا عند الغرق، فإنّ حالة الوحدة والسكينة تزداد قوة

ويميل الإنسان نحو الاكتئاب. لذلك يجب عدم الهَرب منها ولا الغرق فيها إنّما إيجاد مصدر هذه الحالة. مهمّة ليست بالأمر السهل أبدًا.

لذلك لا يستطيع الإنسان البقاء لوحده لأنّه في هذه الحالة يختبر ألم الحرمان من الحبّ، الذي يرغب فيه بشدّة، ومن الشعور بأنّه محبوب ومطلوب. بالإضافة إلى أنّ البقاء لوحدِهِ يجعَلُه في مواجهةٍ مباشرةٍ مع ذاتِهِ. فعندما يغلق الشخص الباب على الضوضاء الخارجيّة، يفتح الباب على الضوضاء الداخلية، أي المشاعر، والأحاسيس، والذكريات، والأفكار، والخيالات. هذه كلّها تجعله يهرب من ذاته، ويَـبدأ البحث عن شيء آخر (كاللقاءات، والهوايات، والهاتف النقّال، والفيسبوك، إلخ.) يُشعرُهُ بالطمأنينة والأمان ويخلّصه من ألَم الوحدة .

هذه الصفحات هي محاولة لفهم الذات الإنسانيّة وتشخيص بعض الحالات العاطفيّة التي تُعتَبر تطوّراً للأزمات الناجمة عن أزمة الهوية والتي بدورها تَـنجمُ عن حاجة الشخص وعوزه الى التقدير من قِبَل ذاته ومن قبل الآخرين. لذلك يجب التذكّر، أنّ الأزمة ليست نهاية كل شيء، وأنّ طريق النموّ الروحي ليس خطًّا مستقيمًا. لذلك لا بد توقّع بعض النكوص والمعوّقات، ولكن المهم في هذه الحالة إيجاد طريق العودة الى المسار الصحيح والسليم.

في النهاية أتوجّه بالشكر الى الأب الرئيس سامر سوريشوع الراهب، والأب الراهب فادي عماد من الرهبنة اللبنانية المارونية، والدكتور يوخنا ميرزا خاميس للملاحظات القيّمة، اللغوية والمنهجية، التي أبدوها.

مار أبريس

٢٠١٩\١٠\٠٤

الفصل الرابع من كتاب: البتولية والعزوبية اليوم

عدم النضوج الجنسي

ان الجنسانية هي حقيقة معقدة وغامضة أيضا نوعا ما، بالتأكيد هي لا تنمو او تنضج بصورة تلقائية حسب (الدليل الجنسي) المنقوش أساسا فيها ذاتها، وانما هي غالبا من المعطيات التي تحتاج الى العمل عليها، اكثر من كونها واقعا ثابتا. بالإضافة الى هذا لا بد من القول، وبصورة واقعية، ان برامج التنشئة لا تولي دائما الأهمية اللازمة للموضوعات الجنسية سواء في الماضي أم في الحاضر لاسباب مختلفة، ظنّا منهم (أي المربّين)، ان هناك إمكانية للتثقيف والتنشئة على خيار التبتل بدون إيلاء الأهمية "للمكان"، الهدف والوسائل وراء هذا الاختيار، أو انهم يضعون ثقتهم في آليات تلقائية (او اوتوماتيكية)، رابطين اياها ربما بالنعمة.

بدون ذكر التنشئة الدائمية في هذا المجال: هل يتواجد في بعض الأماكن التربوية او التثقيفية (رعايا او جماعات دينية) مشروع نظري – تطبيقي بهذا المعنى؟ وقبل هذا أيضا، هل يوجد بين الافراد من هو متاح للاستجابة وبصورة ثابتة؟ إذ انه من المؤكد ان الجنسانية لن تدخل في الخمول او السبات مع مرور الزمن.

فلا نستغرب اذن ان كان هناك بعض الأشكال من عدم النضوج (العاطفي — الجنسي) في البتول المكرس/ة للملكوت السماوي، والتي تكون الى حدّ ما خطيرة، وتجعل وبصورة محتومة عيش العزوبية حالة صعبة او على الأقل تترك تأثيرا عليه بحيث تكون شهادته <الايمانية> اقل فاعلية. لنقل أيضا انه في كل واحد منا من الممكن ان تتواجد هذه الأشكال (من الاعتماد العاطفي على ممارسة العادة السرية، ومن الخوف من أن نُحَبْ والى الحاجة المفرطة الى العاطفة).

ان نكون مقتنعين، وان نحاول وبدقة تحديد موضع عدم البلوغ في جنسانيتنا، هو بحد ذاته إشارة جيدة (حيث يعبّر عن شكل من أشكال عدم النضوج المتكامل او في طريقه نحو التكامل)، بينما انكار عدم

النضوج او عدم فعل أي شيء لنعلم اين بالتحديد ولماذا جنسانيتنا هي اكثر ضعفا، هو وعلى العكس مما سبق، من اعراض عدم النضوج (هذه المرة اللامتكاملة).

من الواضح ان عدم التكامل هذا من الممكن ان يزعج العلاقة التربوية، خصوصا بالنسبة لذلك (المربّي) الذي يكون في تواصل مع الشبيبة والمراهقين: حيث ان مربيّا غير عارفٍ بعدم نضوجه الشخصي، يخاطر، ودائما بدون وعي منه لذاته، بأن يفرّغ عدم نضوجه على ذلك الذي (يربّيه)، وهذا سيكون حقا أمرا خطيرا.

لذلك وبروح بناءة وما ينجم عنها من رغبة في الوضوح نرى ان نحدد على الأقل بعض من أشكال عدم النضج الجنسي الأكثر شيوعا في حياة أي كان من المتبتلين. سنقسمهم هنا الى مجموعتين: تلك المرتبطة بالتطور العاطفي – الجنسي للشخص، ثم تلك المتصلة بمضمون النضج العاطفي – الجنسي.

١) على المستوى التطوري:

على المستوى التطوري، من الممكن ان ينجم عدم النضوج عن:

- المرور او الاجتياز غير الصحيح لبعض الخطوات التطورية في بدايات التعليم او التربية، مع الصعوبات اللاحقة والخاصة بالهوية الجنسية.
- ظاهرة عدم النضوج الخاصة بالجنسانية نفسها، مع ما ينجم عنها من التثبيت (Fixation) او القصور على وجه واحد فقط في المستوى التطوري.
- تطور جنساني غير ملائم خلال سن معينة ومواسم وجودية، او متطلبات رعوية او مرتبطة بظروف بيئية جديدة، مع تراجع نسبي الى مرحلة سابقة من في المستوى التطوري.

١. ١) الهوية والتوجه الجنسي:

التعبير النموذجي لهذه المشكلة التطورية هي المثلية الجنسية، المرتبطة بهوية مفقودة، في بداية الطفولة، مع احد الوالدين الذي يحمل نفس جنس الطفل (المثلية البنيوية)، او بناءً على الخبرة، في المرحلة ما قبل سن المراهقة، والذي امتنع عن المرور من مرحلة (الشهوة نحو الجنس المماثل) الى مرحلة (الشهوة نحو الجنس المغاير) وهذه هي (المثلية اللابنيوية).

هناك تفصيل مهم يتطلب ان نقف عنده وهو ان المثلية الجنسية الحقة عادة لا تعني فقط الانجذاب الى الشخص الذي يحمل نفس الجنس، بقدر ما تعني الصعوبة في التفاعل مع (المختلف — عن — الذات)، الى التقبّل غير المشروط للآخر وتسليم الذات اليه، الى ترك الذات ان تكوّن ذاتها في الآخرية[٧]، الى النظر بعيدا عن الذات، الى عدم التظاهر بتجانس الواقع – وبصورة دقيقة – مع الذات.

من وجهة النظر هذه، وبغض النظر عن العنصر الجنسي البحت، فإن المثلية الجنسية، تنطوي على نقص موضوعي من وجهة النظر الشخصية. اذا كانت الآخرية هي المقياس التطوري، او الخط الذي على امتداده يأتي التطور النفسي، العاطفي، العلائقي، الجنسي في الانسان، فإن الآخرية نفسها تجد في الجنسانية وفي الاختلاف الجنسي شفرتها الاكثر تعبيرا، الرمز الجذري، الإشارة الاكثر وضوحا، تأكيدها الأكثر تجليا، ولكنها أيضا دلالة دقيقة يستحق ان يتبعها الشخص او هي هدف يستحق المتابعة بثبات في الحياة. بهذا المعنى فإن الانجذاب الى شخص من نفس الجنس تقود الى نوع من الانكار، اكثر او اقل حدة، للآخرية، وهي بالتالي انكار لقانون او لإحتمالية التطور او النمو.

[٧] نسبة الى الآخر.

١ . ٢) التثبيت (Fixation)[٨]:

التثبيت هو احد الآليات الدفاعية والتي من خلالها يرفض الشخص ان ينمو، في حالتنا نحن، وفي المجال العاطفي الجنسي، هو ان يجمّد الشخص ذاته في مرحلة معينة. هناك بعض الانفعالات العاطفية الطفولية يقوم بها المكرسون البالغون، تُعدّ إشارة الى التثبيت، منها على سبيل المثال:

- مواقف الغيرة الطفولية في عيش صداقة معينة، او في طريقة إدارة الأمور الرعوية (صديقي انا، مجموعتي انا ...، كهنوتي انا ...، المتعاونين معي انا).
- فضول جنسي مقولب في قالب ما قبل المراهقة في المكرس/ة، الذي يسترق بدون ان يشبع ابدا وبصورة خفية، وبدون أي احترام للآخر، صورا واحاسيسا وهمية لإرضاء الذات.
- الإسراف في الجنسانية، والذي قد يُعدّ أمراً مفهوما اذا حدث مع المراهق ولكن من الصعب استيعابه عندما يحصل مع المكرسين البالغين والذين ما يزالون يحلمون ويحتفظون بفكرة نظرية [عن الجنس] كما يحدث مع المراهقين عندما يفكرون بالفاكهة المنوعة.

في هذه الحالات فإن الجنسانية تبقى طفولية او مراهقة والفرد لم ينمو ابدا، على الأقل بالنسبة لبعض المفاهيم، مع نتائج جديرة بالملاحظة على مستوى العلاقات وعلى مستوى النشاط الإداري (للرعية) نفسها، وان كان الشخص نادرا ما يتقبل إقامة علاقة او ارتباط.

وعلى أي حال فإن عدم النضوج ليس الحدث الوحيد، فبقدر كونه موقفا معتادا ومفتقرا للضمير النقدي (والباعث على الندم)؛ على الرغم من هذا يُضاف اليه وبالأخص بالإشارة الى الجنسانية، بأن كل حدث على حدةٍ ينتهي بالتأثير على مستوى النضوج بصورة عامة، وهي ليست قليلة الأذى ابدا.

---

[٨] **تعلّق مغال بشخص، بشيء أو بامتثال لاشعوري (صورة ذهنية مثالية).** ينصبّ الكلام، في نظرية التحليل النفسي، على تثبيت الليبيدو عندما يتركّز هذا الليبيدو على واحدة من المراحل التالية (الفمية، الشرجية، القضيبية) من النمو النفسي الجنسي. والليبيدو يمكنه، خلال مرحلة نضجه الطويلة، أن يتركز أو يتوقف بفعل أحداث من حياة الطفل: فقدان والد محبوب، قصور عاطفي مبكّر، إرضاع مديد بمغالاة من الثدي، إلخ. وهذا التثبيت يهيء الفرد لأوضاع ستسوّل له نفسه النكوص إليها عندما يصطدم في حياته اللاحقة بصعوبات تبدو له أنها متعذّرة التجاوز .. ومثال ذلك أن التلميذ الذي يتعرض لإزعاجات رفاقه يمكنه أن يعود الى مصّ إبهامه، ويبلّل فراشه، ويتكلم كطفل رضيع، إذ يبتكر على هذا النحو شروط ماضٍ قريب يحنّ إليه. ولا يقود كل تثبيت الى العصاب بالضرورة، ولكنه عامل يجعل الطفل ذا استعداد للعصاب. نوربير سيلامي، المعجم الموسوعي في علم النفس (الجزء الثاني)، ت. وجيه أسعد، منشورات وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، ٢٠٠١، ص ٥٠٦.

١. ٣) النكوص (Regression)[٩]:

النكوص، وعلى العكس مما سبق، هو انفعال في الحاضر لكن بأساليب قديمة او مستقاة من الماضي، او بمعنى اخر هو ليس جمودا حقيقيا، وانما هو نوع من استرجاع او إعادة استعمال طرق العمل وتكوين او عدم تكوين العلاقات، والتي تكون خاصة ومتعلقة بماضي الشخص نفسه. على سبيل المثال:

- البحث المتلهف عن العاطفة المطمئنة وهذا يتم من قبل المكرس الشاب، والذي كان فيما مضى مبتدِئً واكليريكياً صالحاً، والذي يجد نفسه الان يعيش حياة غير اعتيادية يعاني فيها من الوحدة بدون الحماية من بعض البنى (التي كان يحتمي بها في السابق، كالعائلة والأصدقاء مثلا) فإما سيتعلق بشخص ما او سينغلق في ممارسة العادة السرية.
- وقوع المكرس في الحب في سن الأربعين فما فوق، والذي يواجه، ربما لأول مرة، مشاعر الحياة التي خسرها ولم يعشها، او يواجه مشاعر فشل ما (متعلقة باختياره للحياة المكرسة)، والذي يكون بحاجة الى ان يملأ فراغا ما أو يبحث عن التأكيدات (ليقطع الشك حول قراراته الحياتية إيجابا او سلبا نحو دعوته).

في كلتا الحالتين هناك نوع من العودة الى حضن الام او الى نوع من الحرارة التي استمتع بها قبلا. ولكن في الحقيقة كل هذا يخلق فقط نوعا من الفشل في الوجود الفردي والاجتماعي للشخص، والذي يتفاعل مع ظروف (حرجة) للحياة من خلال المواقف غير اللائقة وتنازلات ضارة. هنا عدم النضوج يتأتى من عدم تعلم كيفية النمو في الحياة، وتبعاً لاستفزازاتها.

---

[٩] **تبنّي سلوك يميّز عمراً سابقاً، هرباً من إحباط راهن يفرضه الواقع.** يستخدم سيغموند فرويد المثال التالي حتى يُفهم فكرته جيدا:"عندما يكون جيش في حالة الحركة قد ترك خلال الطريق كتائب قوية، سيكون للأجزاء الأكثر تقدّماً ميل قوي الى أن تنكص على أعقابها لتحتمي لدى هذه الكتائب، حينما سيغلبها عدوّ قوي جداً أو تصطدم به. وستكون حظوظ هذه الأجزاء الطليعية في أن تغلب قوية بمقدار ما تكون العناصر الباقية في الوراء أكثر عددا" (١٩١٦ – ١٩١٧، ص ٣٦٧ من الترجمة) ونرى، بحسب هذا المثال، أن مفهومي النكوص والتثبيت مرتبطان. ويدلّ النكوص، في نمو الشخص، على عودة الفرد الى مُدد زمنية من نموّه تجاوزها. وذلك لا يعني أن ثمة بالضرورة ظهوراً جديداً لتصرّف قديم، بل مجرّد أن الفرد يسلك سلوك فرد أصغر عمراً. مثال ذلك أن طفلاً يمكنه أن يعود الى ان يبلل فراشه (سلس البول)، ويوسّخ سراويله (سلس الغائط)، ويتكلم كطفل صغير، ويطلب رضاعته، إلخ، في أعقاب ولادة أخ وأخت. فالنكوص هو الشكل الأبكر من آليات دفاع الأنا. إنه عاملٌ في الأعصبة والذهانات، وعامل، على وجه العموم، كلما بحث الفرد عن الهروب من واقع يصعب احتماله. بل إن الحلم، يقول فرويد، ضرب من النكوص داخل الجهاز النفسي. نوربير سيلامي، المعجم الموسوعي في علم النفس (الجزء السادس)، ت. وجيه أسعد، منشورات وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، ٢٠٠١، ص ٢٥٩٥.

٢) على مستوى المضمون:

من وجهة نظر المضمون، فإن عدم النضوج {العاطفي – الجنساني} سيكون مرتبطا بعدم تحقق المركبات والوظائف الأساسية للجنسانية ذاتها، كما حددناه في الفصل السابق. حينها سيكون لدينا، جنسانية:

١) إما مجردة من الاسرارية (سطحية وساذجة)،

٢) او فقيرة في علاقاتها وآخريتها (فتكون كلّها مرتكزة حول الأنا)،

٣) او تكون منغلقة على الخصوبة (فتكون عندها عقيمة بصورة بائسة وبدون أي معنى).

سنحاول التعمق في كل واحدة من هذه النقاط الثلاثة:

٢. ١) جنسانية مجردة من الاسرارية:

في الجنسانية يظهر ويتفجر سرّ الحياة الإنسانية، سواء في معناها الكلاسيكي والمتعلقة بعمقها الذي لا يمكن ان يسبر غور معناه، أم في معناها الحديث من حيث قدرتها على توحيد المتعارضات (الجسدي – الروحي، الذكر – الانثى، انا – انت، ...). ان أي مشروع بتولي يتم بناءه كله على هذا البُعد الاسراري، والذي يجعله يتذوق الجمال، وبدونه سيجعل من كونه بتولا بدون أي معنى، في هذه الحالة اما ستكون بتوليته مجرد تعفف متعب او غيابا مريحا للعوائق.

بالرغم من هذا، ليس من النادر ان نرى بتولاً قد فقد اسرارية جنسانيته او طعم ذلك الغموض الذي يقوده الى التأمل الزهدي (الصوفي)، ويحكم على نفسه بالعيش حياة بتولية بدون أي عمق او اتساق، بدون أي عودة الى آخرٍ والى معنى الحب؛ بتول مع مرتسم تخطيطي مسطح للقلب. مع هذه العلامات او هذه النتائج:

أ) الغرور:

يكون شخصاً مغروراً، ذلك الذي يُعدّ معرفة الذات امرا مفروغا منه، ويدّعي انه يعرف عن الله، وانه يستطيع ان يعلّم الآخرين ما يحتاجونه ليكونوا كاملين وقديسين. هكذا يفترض هذا الشخص انه يعرف كل ما يتعلق بالحياة العاطفية، وانه قد وجد الحلّ لكل المشكلات المتعلقة بهذا الموضوع، او ربما يكتشف ان العاطفية هي شيء مرهق وهي تهم وتقلق الأشخاص الضعفاء، وهو موضوع يعدّه مضيعة للوقت ويخلق عدم الأمان، ويشتت ويبطئ النشاط، واحيانا يؤدي الى ازمة قلق، ويقرّر انه من الأفضل ان يحدّ منها الى اقل حدّ ممكن؛ او يعتقد ان الجنس وما يتعلق به ليس بتلك الاهمية بالنسبة لتكريس الذات لله، لا بل انه يمكن الاستغناء عنه.

ب) الجهل:

ان الطريق من الغرور الى الجهل قصير جدا والضرر الناجم عنه خطير أيضا، حيث ان (المكرّس) غير المتزوج لأجل الملكوت (السماوي) الذي لا يعرف عن الجنسانية، لا يعرف أيضا ما هي البتولية ولا السبب وراء اختياره لها. على سبيل المثال:

- هذا الشخص لا يستطيع ان يتصور ان معنى الحياة، بشكل ما، منقوش في الجنسانية الإنسانية، وانها عطية تلقاها تهدف الى ان تصبح خيرا يمكن ان يُمنح للآخرين.
- لديه فكرة تافهة جدا (ومبتذلة) عن الجنس بحيث لا يستطيع ان يصدق ان الجنسانية، التي تأتي من الله، من الممكن ان تزوده بطاقات مهمة للحياة الروحية وان يعيش فيها روح الله.
- لا يعرف ان الجنسانية الناضجة تعني القابلية على تكوين العلاقة مع المختلف، مع الآخر بذاته، حتى مع غير المحبوب ليشعره بانه محبوب، وبخلاف هذا فإن البتولية هي مزيفة وان الزهد (قرار عدم الارتباط) المتّبع فيها لا ينفع أي شيء.

- لم يتعلم ابدا ان يبارك الجنسانية (كونها عطية إلهية للإنسان) وربما عندما يسمع عنها فانه يحمرّ ويصبح جديا جدا، او يكون ساذجا وهائجا (من الغضب)، او يقرر ان ينهي النقاش.

إن كنا نقصد بالسرّ، كما اسلفنا، تلك النقطة المركزية التي تبقي سوية اقطابا تبدو متناقضة ظاهريا، فإن هذا الشخص يحذف هذه القطبية التي ستبدأ بأن تسبب له المشكلة (أي بسبب إلغائِهِ السرّ الكامن فيه)، اعتقادا وتوّهما منه ان الغاء القطبية سيسهل له حياته، ولكنه مخطئ، لان هذا يعني جهله بمعنى السر.

ج) الأميّة واللاعاطفية:

لا يوجد جهل أسوأ من ذلك الذي يرفض ان يرى او ان يشعر، كذلك هو المكرس الذي يخشى او يقلل من قيمة الجنسانية، من خلال عدم قبول مفهوم السر، لأنه يشعر انها سلبية ونجسة، ويقرر ان لا يراها وان يهملها في باطنه او في دواخله. يستمر المكرس في عدم الاعتراف بمشاعره ويروحن[10] كل شيء، حتى الشعور المتأجج المتوقع. ان ذلك الذي يهمل مشاعره يعرض نفسه لأذىً كبير، إذ يفقد التواصل مع ذاته، ويصبح أميّا عاطفيا، وهو شخص لا يستطيع ان يفهم ذاته من الداخل، فكيف له ان يفهم الآخر. الخطورة، في استمرار الكبت، تكمن في ان يتحول الى البرود العاطفي، وبالتالي ان لا يختبر أي شعور او إحساس، فيصبح مثل (الراهب – الدب) او (الرجل الثلجي). إذ: "ان الشعور يشبه العضلات، اذا ترك لفترة طويلة غير فعّال، فإنه يصاب بالضمور ومحاولة تفعيله مرة ثانية ستكون عواقبه مؤلمة" او حتى خطيرة. تصبح الجنسانية في مثل هذه الحالات كعملاق دخل في سبات، والذي لا يجب اهماله، لانه إن استيقظ من نومه فزعا فانه سيُقدم على الكوارث.

ولكن هناك مخاطر أخرى، صحيح انه من الممكن ان يكون لاحدهم الإحساس بانه يعيش عفته بصورة افضل، او انه يحميها ويشعر بمزيد من الأمن بالابقاء وجعل قلبه باردا (عاطفيا)، منيعا (غير قابل للاختراق)،

[10] أي يفسر كل شيء من منظور روحاني.

لا يمكن لمسه، غير منقسم. ولكن بخصوص هذا الموضوع ، لنلحظ ما يقوله الاب كانتالاميسّا، وبذكائِهِ الروحي المعهود:

القلب غير المنقسم هو شيء حسن، طالما كنت تحب شخصا ما. ولكن الاحسن ان يكون القلب منقسما ولكن محبا، من ان يكون القلب غير منقسم ولكن لا يحب أحدا. لان هذا الأخير سيكون، في الواقع، انانية غير منقسمة، أي ان يكون لديك قلبا ممتلئا ولكنه مليء بالشيء الذي يسبب اكبر كمٍّ من عدم الراحة والقلق، الا وهو: **الذات**. عن هذا النوع من المتبتلين والعزاب، والذين ومع الأسف ليسوا غير مألوفين (أي يمكن تواجدهم بكثرة)، عن هؤلاء قيل وبصورة منطقية: {لأنهم ليسوا من البشر يعتقدون انهم من الله، ولأنهم لا يحبون أحدا، يعتقدون انهم يحبون الله} (شارل بيغي)[11].

هؤلاء الناس، ولكي يخفوا عدم قدرتهم على عيش علاقة ما بملئِها، غالبا ما يبررون اختيارهم للبتولية مستندين على منطق مغرور بقدر ما هو أيضا منغلق على السر: "لم اتزوج لأنني شعرت ان امرأة واحدة لن تكون كافية"[12]. فأيّ قدرة فائقة للحب يعزون الى ذواتهم أولئك الأشخاص المفتقرين الى أي خبرة، حتى ولو متواضعة، في هذا المجال؟.

الا ان هناك مخاطرة أخرى تحيق بالاعزب عديم المشاعر وذو القلب الفارغ، وهذه المخاطرة تكمن في الالتباس او الارباك الذي يحصل بين بذل الذات لله وبين حالة من السلام والهدوء الداخليين واللذين يُعدّان مناقضين لميكانيكية بذل الذات، او ان يختزل التكريس البتولي في ان يكون مجرد تحفّظ يجعل كل شيء سطحيا [فلا يحمل مشاعر صادقة لأي أحد]، فيؤثر حتى على حيوية المكرس، جاعلا منه كما لو كان شخصا ميتا. "ان الطبيعة تكره وترفض الفراغ. من الممكن ان تحدث اشياءً فظيعة لشخص ذو قلب فارغ. وكتحليل أخير، فإنه من الأفضل تحمّل مخاطر فضيحة عرضية (عابرة)، بدلا من ان يكون هناك ديرا (جوقة، صالة

---

[11] يقصد شارل بيغي هنا الأشخاص الذين يحسبون انفسهم اكثر تعاليا من البشر على اعتبار انهم لا يعيشون حياة طبيعية مثل بقية الناس، فهم يعيشون بدون حب المرأة على سبيل المثال، لذلك يُعدّون انفسهم كآلهة.

[12] تعبير يستعمل لاشخاص يُعدّون انفسهم قادرين على هذا الامر بينما هم لم يجربوا أي شيء في حياتهم. لنضرب مثالا على هذا الموضوع: أحيانا عند مشاهدتنا لكرة القدم وفي لحظة ما يقول احدنا: "لو كنت انا مكان المهاجم لسجلت هدفين او ثلاثة، ولما اضعت هذه الفرص!" في حين ان الشخص الذي تكلم هكذا ربما لم يلمس الكرة في حياته. فهو يريد ان يقول ان له الإمكانيات الفائقة ولكن بدون ان يكون قد جرّب ان يظهر هذه الإمكانيات. ونفس الشيء ينطبق على المكرّس الذي يتظاهر بامتلاكه قدرة هائلة للحب ولكنه في الحقيقة لم يخض أي تجربة تثبت ما يقوله.

طعام، او غرفة استراحة او تسلية) ممتلئة بأناسٍ موتى. فإن ربنا لم يقل: "لقد جئت لكي يكون لهم الأمان ويكون لهم وفرة".

بعضنا قد يفعل او يعطي أي شيء من اجل ان يشعر بالأمان، سواء في هذه الحياة او في تلك الآتية، ولكننا لا نستطيع ان نمتلك الأمان في الحالتين ، فإمّا الأمان وإمّا الحياة، يتوجب علينا الاختيار.

د) الوثنية والبدائية:

في النهاية، صنف اخر من أصناف عدم النضوج العاطفي والمتمثلة في تطوير ميول معارضة لتلك التي شاهدناها لحد الان، الميل في أن يغدو الشخص وبصورة مستمرة اكثر اعتماديا وبالتالي أيضا اكثر ضعفا في مواجهة الدوافع والانفعالات الفطرية المختلفة. هناك مبدأ على أساس هذا الميل والذي يقول تقريبا هكذا: "ما اشعر به يجب أيضا ان افعله، والا فسأكون اقل اصالة او صدقا". اسمعوا كيف يتحدث من كان يتكلم عن السرّ.

في الواقع من يفكر بهذه الطريقة فهو مجرد شخص بدائي يعبد المشاعر والغرائز، كالوثني تقريبا، بدائيٌ الى درجة انه لم يتعلم بعد التمييز بين الصدق والحقيقة في هذا الصدد، او انه يخلط بين حرية القلب وبين الاتكالية العاطفية فهو يسعى ويبحث دوما عن التأييد لنفسه، حتى حينما يقول انه يرغب في ان يعين الاخرين (أي ان يكون هو داعما للاخرين).

٢. ٢) جنسانية مفتقرة للعلاقات:

الجنسانية هي علاقة، وانفتاح، وتقبّل الآخر المختلف عن الذات، وترفض ان اضع ذاتي (انا) في مركز العلاقة. انه من المستحيل اختيار البتولية إن لم تكن الجنسانية ناضجة في هذا الاتجاه (أي في اتجاه تكوين العلاقات). ولكنه من الممكن – مع الأسف – عدّ البتولية عذراً للانغلاق على الذات. هذا الموقف او

السلوك (أي الانغلاق) يمكن اعتباره تعديا على الجنسانية الشخصية، واجبارها على الانطواء على ذاتها، والتحرك بالضد من الطبيعة وتحويل الذات الى ما ليست عليه (أي الى ما هو عكسها) وتحويلها الى الطاقة التي تعمل على انغلاق الشخص على ذاته وجعله غير قادر على تكوين العلاقة.

الذي يعيش بتوليته بهذه الطريقة سيكون عندها عازبا، يحرص غالبا على عزوبيته، ولكنه لا يحبها. كما لو كانت عزوبيته عزوبية تقنية او افتراضية، فعّالة بالنسبة للرسول او التلميذ اذ تضمن له الحرية (والوقت الكافي) لإتمام انشغالاته العديدة، ولكن بقلب مشتت. في هذه الحالات ستكون الاستقامة السلوكية الخارجية هي بالتحديد الضمان الذي يساعد على عدم التشكيك في أي شيء. ولكن وفي الواقع هناك العديد من الإشارات المختلفة التي تدلّ على انعدام الاصالة والثقة في هذه البتولية.

أ) انكار الأنت:

العَرَضُ[13] الأكثر وضوحا في هذه الحالة هو مركزية الانا الجوهري والذي يجعله معدوم الإحساس امام الاخر. [هؤلاء الأشخاص] حريصون فقط على ذواتهم وغير قادرين على التعاطف [مع الآخرين]، متخوفون من العلاقة العميقة أو اي إشارة قد تؤدي الى التقارب. إشارة تحمل الكثير من الدلائل وهي ليست نادرة بالمرة في افتقارها للعلاقات، والتي هي عدم القدرة على الاستمتاع بفرح الاخرين، أو تثمين عملهم والاحتفاء بهم (لا يجوز الاكتفاء بان نكون قربهم في احزانهم). كتب احدهم (وبحبر كثير السواد — في الإشارة الى التشاؤم فيه): "قساوسة ورهبان يعرفون ان يحبوا، ولكنهم تقريبا لا يتحابون فيما بينهم أبدا".

ان جنسانية مرتكزة على الأنا تخلق إضافة لهذا ميلا نحو الانتقائية في العلاقات و الاستغلال المنظم للآخر لحاجات شخصية، كما تخلق أيضا ميلا نحو السيطرة وامتلاك الآخر (رغبة السيطرة الشيطانية). جانب واحد من هذه المتلازمة في الحياة الجماعية، هو ذلك الانغلاق داخل حدودنا الخاصة والتي تقود الى **الإهمال والتوحش أو (البربرية) في استعمال كل أشياء الآخرين**، والى انعدام فرص التشارك والتقاسم والى

[13] مفرد أعراض، أي اعراض مرضٍ ما.

الميل **نحو البخل، والحسد والتنافس العلائقي**. كل ما سبق يتحدث في الأساس عن وجود حزن عميق في الذات: الذي يعيش في الصفاء وفي سرور، يميل الى تقاسم وان يضع كل ما يملك وما له بين يدي الجماعة، ولا ينقصه شيئا؛ أما ذلك الذي يخزن لنفسه يعيش في ذعرٍ خوفا من أن يفقد شيئا ما، ويعيش بصورة سيئة، مضغوطا ومتوترا.

ان مركزية الأنا، رغم كل شيء، تتعدى الحدود الى درجة ان بإستطاعتها ان تكدّر حتى الحياة الروحية وان تجعل **العلاقة مع الله** بدون أي معنى وباردة وتجعل من الصلاة كلمات فارغة ليس إلا.

ب) استبدال الأنا:

عندما ينغلق الانا على ذاته فإنه يرمي خارجا الجزء الأكثر حقيقية والأكثر جمالا فيه ويستبدله بآخرٍ مزيف وكاريكاتوري، والذي يجعل، نمط الحياة وكوننا مكرّسين، سطحيا وكاذبا. من هنا، ومن المحتمل، ان تبدأ العمليات **التعويضية** الخطيرة:

- المغالاة في الاكل وشرب الكحول.
- تجميع الأموال والاغراض.
- الشعور المتباهي الصلف بالتعالي والرضى عن الذات.
- البطولية والبحث النرجسي عن التفوق والنجاح الشخصي.
- الرضى المرهف عن الذات، بسبب كونها مثيرة للاهتمام وربما مثيرة للجدل.
- الصلافة والغلاظة في التعامل.
- عقلانية ساخطة وفي الوقت ذاته مثيرة للسخط ومستفزة.
- الإهمال أي يكون مهملا بشكل عام، او على النقيض من ذلك فانه يبدأ بالتأنّق بإفراط في اللبس.
- قلّة الإهتمام بالديكور او بترتيب الأشياء في المحيط الذي يعيش فيه.
- انعدام الإبداعية الرسولية.

- غياب الذوق الجمالي.
- الاعتدالية أي الانسان العادي الذي لا يتميز بنبوغ ولا قريحة كقاعدة حياتية.
- النكدية والعصبية بصورة مطردة.
- زيف وجودي دقيق ...

كل هذه هي مواقف ليست في ذاتها متصلة او مرتبطة بشكل مباشر او بالضرورة بالجنسانية وعدم النضوج الجنسي، ولكن من الممكن ان تكون تعبيرا عما يدعى بـ { الإشباع بالإنابة }[١٤] لجنسانية متركزة على الانا، والتي لم تعثر على الفسحة الملائمة والمُتنَفَّس في العلاقة.

٢. ٣) جنسانية غير منفتحة على الخصوبة:

الجنسانية تعني **الإنتاجية**، كما رأينا فيما سبق، هي حياة أُخِذَت فتُعطى، انها هبة خلّاقة. حتى المتبتل يجب ان يعلم كيف يثمر وينتج، كأي [كائن] حي آخر، وإلا فإن البتولية تصبح لعنة. ولكنه لن يستطيع ان يفعل هذا اذا لم يتعلم كيفية عيش جنسانيته كقوة خلّاقة، كطاقة حيوية، كبحث عن خير الآخرين، كما قيل فيما سبق. ها هي الإشارات السلبية النوعية في النقاط التالية.

أ) العقم والوحدة:

انها قصة العديد من المكرّسين العزاب، { انهم رجالٌ معدومون } وان كانوا مستغرقين في الاعمال، لانه بدلا من ان يولّدوا ويعملوا على نمو الآخر، وجعله مستقلا بذاته وحرّا، فانهم يربطونه بذواتهم او بشخوصهم، ويفرضون عليه بالقوة اسمهم الخاص كما لو كان ملصق علامة المصنع (يعني بها التي منها يُعرف

---

[١٤] او غير المباشر.

ان هذا الشيء قد صنعته انا)، او يصبحون (أولاد أولادهم)[١٥]، أي يقومون بتكوين هويتهم الخاصة في ذلك الذي ينتجوه، وفي نتائج خدماتهم.

المكرّسون العزاب الذين لا يخلقون الحرية حولهم، كونهم ليسوا أحرارا لكي يسلّموا ذواتهم الى الآخر، الى الحياة، الى المرض، الى الموت، هم أيضا لا يسلّمون ابنهم الى الآخرين بدون بعض حقوق الملكية او بدون بعض الزعم عن كونه غير قابل للاستبدال او عن كونه ابديا.

بهذه الطريقة يجدون انفسهم وحيدين، كما حبة الحنطة التي تمتنع عن تسليم ذاتها الى الموت فتبقى {وحيدة}، لا تنتج ولا تعطي ثمرا (انظر يوحنا ١٢، ٢٤).

ب) الخصوبة المنحرفة:

إشارة أخرى للجنسانية العقيمة وتتمثل في قضية المكرّس الاعزب الذي يحوّل اتجاه القابلية الإنتاجية من الأشخاص الى الأشياء، الى الأغراض المعدومة النفس، الى الحيوانات، الى الفعاليات الاحترافية. يتواجد بهذا الخصوص معرض للأشخاص ذوي الأهمية، كما، على سبيل المثال المكرّس الذي يكرّس نفسه لضمّ مجموعات (من الطوابع او الفراشات مثلا)، او ذلك الذي يمارس الهوايات الغريبة (المشهد الأولي لرجل الدين، والذي ربما ليس مسالما جدا، ولكنه يكرّس وقت فراغه لبناء المسدسات)، او المأخوذ بالهوس الذي لا يتعب (المعروف بـ {مرض الحجر})، او الذي يعمل على تربية الحيوانات او الذي يعمل ميكانيكيا او يكون مثل فأر المكتبات او ذلك الذي يخدم في كل الاعمال بشكل يكون منغلقا في عالمه فلا يعود يعرف كيف يستمتع بالعلاقة مع الآخر او كيف يختزل الحوارات القصيرة جدا والباردة.

من الواضح لا يوجد ما هو سيء، نظريا، في ان يعمل شخص ما في الزراعة او ان يعمل كهربائيا، عندما يقدّم خدمة ما للجماعة [التي ينتمي اليها] مراعيا التوازن الى حد ما في خدمته؛ المشكلة تنشأ عندما

---

[١٥] تعبير يقصد به انّهم الأصل في تكوين او صنع او القيام بعمل ما. وهو يعني ان بعض المكرّسين ينسبون كل العمل الى أنفسم، حتى في حالة لو قيام الآخرين به.

يصبح كل ما [ذكرناه سابقا] مَهْرَباً من العلاقة مع الآخرين للانغلاق على ذواتهم. وهذا ليس نادرا فهذه الظاهرة بالتحديد، اذا ابتعدت عن حدودها، هي التي تخلق بعض الميول الشهوانية الذاتية.

ج) الاختلافية المخيفة:

إن ما يجعل الجنسانية خصبة ومثمرة هو ذلك اللقاء بين المختلفين، الذين يكملون بعضهم بعضاً. الخوف من المختلف، بالعكس، يجعل عقم العلاقة محتوما. تتواجد اليوم مثلية جنسية زاحفة[١٦] والتي هي مشكلة في الأساس علائقية قبل ان تكون، أيضا، وبصورة جلية مشكلة جنسية، وهي تُفقر التبادل، وتضع الاختلاف {او المختلفين} في مواجهة تنازعية في هنيهة، وبدلا من ان تستغل هذا الاختلاف كما لو كان منبعا او مصدرا؛ تحمل على رفض الآخر والشعور به كما لو كان اختلافه في الأفكار تهديدا، وذات الشيء بالنسبة لاختلافه في حساسيته، واختلافه في خبرته الى ان يصل الى الزعم بانه اصبح مماثلا له شخصيا، فيجعل تلك العلاقة في النهاية غير مثمرة.

اذا كانت الجنسانية تشير الى الاختلاف لكونه جذريا فانها تصبح بمثابة مدرسة لتعلم التعايش في الاختلاف، في حين ان هذا التخوّف يشير الى علاقة سلبية مع الجنسانية الشخصية، مرة أخرى تعيق وتعلق في حيويتها وخصوبتها. من هنا الجنسانية بالتأكيد لن تستطيع ان تنشئ بتولية خصبة ومثمرة. حتى لو كانت بتولية محافظة.

---

[١٦] إشارة الى زحف الثعبان، الذي لا يُسمع له حس او صوت، حيث يقترب الخطر دون ان نحس به.

بتولية ... غير طاهرة!

(ميثوديوس الأولمبي، من كتاب "البتولية تحتضن كل الكيان")

"كثيرون هم الذين يعتقدون انهم يبجّلون البتولية ويخدمونها، ولكن كم هم قليلون، لو كان من الضروري ان نقولها، اولئك الذين يوقرونها حقا!

بالتأكيد لا يكرّم البتولية ذلك الرجل الذي يحاول ان يحافظ على جسده من الرغبة في علاقة جنسية لم يجربها من قبل، بدون ان يحاول السيطرة على كل ما تبقى. بالأحرى يقلل من اكرامها وبصورة سيئة جدا من خلال الرغبات الواطئة، مبادلا بذلك شهوة بشهوة أخرى.

بالتأكيد لا تثمّن البتولية، اذا كان يجهد كثيرا لمقاومة الرغبات الخارجية، ولكنه يتبجّح ويتكبّر بمقدرته للسيطرة على حرقة شهوات الجسد ويعتبرون بقية الناس كما لو كانوا لا شيء او اقل من لا شيء.

لا تكرّم البتولية بكبرياء الغطرسة الشخصية، مطهرا الاناء والقدر من الخارج (متى ٢٣: ٢٥)، أي الجسد والبدن، لكن قلبه تالف وفاسد بالاستكبار ومحبة الابّهة.

ولا يجتهد في إكرام البتولية ذلك الذي يتفاخر ويتباهى بالغنى: بل انه بذلك يحمّلها بعارٍ اكبر واكثر من أي شخصٍ آخر، مفضّلا عليها بعض الأموال، في حين لا يوجد في الحياة قيمة تضاهي البتولية. في الواقع فإن كل الغنىً والذهب، بالمقارنة بها، يُعدّان ترابا.

لا يحمل إكراما للبتولية ذلك الذي يفكر في حب نفسه بإفراط ويهتم بمصلحته الشخصية ويضعها كهدف امامه، بدون ان يفكّر بقريبه؛ هو أيضا يخزيها، لانه بعيد جدا عن أولئك الذين يمارسونها بكل كرامة وإجلال ولأنه يدمّر الحب الذي يتواجد فيها، ويفسد ثقلها العاطفي والإنساني.

من جهة ليس هناك حاجة للعيش في الطهارة وفي البتولية، في حين ومن جهة أخرى، يدنسها وباطّراد بأعمال الشرّ وتسليم الذات الى الجموح وعدم السيطرة على النفس؛ وأيضا لا حاجة من جهة، لاطلاق الإعلانات عن الطهارة والعفة، بينما من جهة أخرى، هو مدّنس في الخطايا؛ لا يجب من ناحية، التسليم والاعتراف بعدم الاهتمام بالأشياء التي هي من هذا العالم، بينما من ناحية أخرى، يقوم بإقتناء هذه الأشياء ويجعل من نفسه عبدا لها. من الضروري الحفاظ على كل أعضاء الجسد طاهرة ومحصنة من الفساد، ليس فقط تلك الأعضاء المختصة بالشهوة الجنسية، وانما أيضا تلك الظاهرة بصورة اكبر.

قد يبعث على السخرية في الحقيقة ان يرغب احدهم في الحفاظ على اعضائِهِ التناسلية طاهرة ولكنه لا يحافظ على لسانه او بالأحرى هو يحرس اللسان ويحافظ عليه بتولا لكن بدون ان يفعل الشيء ذاته لنظره او سمعه او لكلتا يديه؛ أو اكثر من هذا، ان يقوم بالمحافظة على كل ماسبق ذكره في البتولية، ولكنه لم يطهّر قلبه، بل مسلّما إياه لزنى التكبّر والغضب. الآن، الذي يشتهي ان يكون بلا خطيئة في ممارسته للبتولية يتوجب عليه وبصورة مطلقة الحفاظ أيضا على كل أعضاء جسده وأن يلجم ويكبح حواسه، كما قادة السفن الذين يشدّون الأربطة، فلا يعود باستطاعة الخطيئة الإغارة على النفس.

في الواقع، بالنسبة للحياة المستوحاة من المُثُل العليا فهي على صلة، وبصورة حتمية، بالسقطات العظيمة والشر يتعارض مع الخير الحقيقي اكثر من تعارضه مع الخير الخادع. مع هذا هناك الكثيرون ممن يعتقدون ان البتولية، في جزئها الأكبر، عبارة عن التعارض مع الرغبات الشهوانية الحارقة للجسد، واعتقادهم هذا أدى بهم الى الوقوع في الخطايا ضد البتولية بسبب عدم بقائهم ساهرين وحريصين على بقية الشهوات، فَحَطّوا من قَدَرِ وسمعة أولئك الذين ساروا على الطريق المستقيم".